امارة بني مردنيش في شرق الاندلس

م.م. أحمد علي حسين عبد الله السبعاوي
medoalhloo@gmail.com
م.م. محمد عبد العزيز صالح حسين الجبوري
mohammedabdalazezsaleh@gmail.com
م.م. فراس ابراهيم عبد الله الطائي
Frais.23ehp115@student.uomosul.edu.iq
جامعة الموصل/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

يعد موضوعنا " امارة بني مردنيش في شرق الاندلس " من المواضيع المهمة لأنها تمثل مرحلة من مراحل التاريخ الاسلامي في الاندلس الذي انعكس على بكل ايجابياتة على الاقوام الغير مسلمة هناك ولهذا يمكن ان نطلق على فترة المسلمين في الاندلس بأنها المنارة المضيئة خلال العصور المظلمة في اوربا أضافته الى التعريف بهذه الامارة وعلاقاتهم مع من جاورهم واسلوب حكمهم ونهاية مملكتهم .

وقد قسم البحث الى مبحثان وخاتمة خرجنا منها بأبرز النتائج ، وان هذه المباحث تتفاوت في طولها وقصرها حسب الموضوع حيث تناول المبحث الاول نسب واصول بني مردنيش ومكانة بني مردنيش في الاندلس وقيام امارة بني مردنيش وادارة بني مردنيش للامارة بينما المبحث الثاني تناولت فيه علاقة بني مردنيش مع الممالك المجاورة لهم وصراع ابن مردنيش مع اعوانه ونهاية المملكة المردنيشية واعلان الولاء وتبعية بني مردنيش للموحدين .

الكلمات المفتاحية: أبن مردنيش، الاندلس، شرق، امارة، الممالك .

"The Emirate of Banu Mardanish in Eastern Andalusia,"

M.M.Ahmed Ail Hussein Al-Sabaawi
M.M.Mohammed Abdalazez Saleh Al –Jubouri
M.M.Firas Ibrahim Abdullah Al-Taie
University of Mosul / College Of Education For Humanities

Abstract

Our topic, "The Emirate of Banu Mardanish in Eastern Andalusia," is one of the important topics because it represents a stage of Islamic history in Andalusia, which was reflected in all its positive

aspects on the non-Muslim peoples there. Therefore, we can call the Muslim period in Andalusia a shining beacon during the Dark Ages in Europe. She added it. To introduce this emirate, their relations with those around them, their style of rule, and the end of their kingdom.

The research was divided into an introduction, two sections, and a conclusion, from which we emerged with the most prominent results. These sections vary in length and shortness according to the topic, as the first section dealt with the lineage and origins of the Banu Mardanish, the status of the Banu Mardanish in Andalusia, the establishment of the emirate of the Banu Mardanish, and the administration of the emirate by the Banu Mardanish, while the second section dealt with the relationship of the Banu Mardanish. Mardanish with their neighboring kingdoms, Ibn Mardanish's struggle with his helpers, the end of the Mardanish kingdom, the declaration of loyalty, and the subordination of Bani Mardanish to the Almohads.

Keywords:BanuMardanish,Andalusia,east, Principality

المبحث الاول

امارة بني مردنيش وثقلهم الاجتماعي بالاندلس

اولاً : نسب واصول بني مردنيش

اختلفت الآراء في بيان نسب بني مردنيش وأصولهم , هل هي أسرة عربية أم نصرانية, فجاءة بعض الآراء على ان بني مردنيش عرب ونسبهم الى قبيلة جذام أو قبيلة تجيب العربيتين اليمنيتين، حيث يرجعهم ابن الآبار باعتباره أقرب المؤرخين لبني مردنيش من جهتي الزمان والمكان، وكذلك يعد من المعاصرين المتأخرين منهم خاصة الأمير أبو جميل زيان بن مردنيش، حيث كان كاتبا له ومقربا منه، لكن ابن الآبار لم يذكر انتساب بني مردنيش الى قبيلة جذام العربية الا في كتاب واحد من كتبه فقط ولم يترجم ابن الآبار لابن مردنيش، اذ ليس له شعر مع أنه أكبر وأخطر الثائرين الذين ظهروا في شرق الأندلس في الفترة من زوال أمر المرابطين الى دخول الموحدين بالأندلس، وانما اكتفى بالإشارة فقط الى تحقيق اسمه فلفظ مزدنيش أو مرذنيش ليس اسما عربيا، مما يقطع بأن نسبته الجذامية ليست صحيحة، والواقع أن اصله من أهل شبه الجزيرة، وقد يكون جده مردنيش هذا دخل في ولاء بعض الجذاميين وانتسب اليهم وهو فرض

مقبول[١] لأن دار بطون جذام بن عدي بن الحارث بن مرة بالأندلس كانت كور شذونة والجزيرة وتدمير واشبيلية[٢].

وربما كان أصل الاسم مرتنيز وفي هذه الحالة كان ينبغي أن يكتب بالعربية مرتنيش أو مردنيش، إما أن تكون صحة الاسم مرتنيز لتتماشى مع النطق العربي فأمر غير ممكن لأن هذا الاسم لا يمكن نطقه مع نبر المقطع الأخير ولهذا فقط اقترح كوديرا أن يكون أصل الاسم مرتنيز أو مردنيوس وهذا الأخير من أسماء البيزنطيين، وكانت لهم جالية كبيرة في قرطاجنة الحلفاء غير بعيد عن مرسية كما يرجعهم الى الاصول الاسبانية النصرانية التي اسلمت واصبحت عربية بالولاء[٣].

أما المؤرخ الآخر الذي أرجع نسب بني مردنيش إلى أصول عربية فهو الذهبي حيث تطرق هذا الأخير لنسب بني مردنيش و انتمائهم العربي كما تحدث عن موضع سكناهم في ترجمته لجد الأسرة بالقول : " أبو عبد الله مردنيش ، محمد الجذامي المغربي. كما ترجم ابن الآبار لمحمد بن سبيع بن يوسف بن سعد بن محمد بن سعد الجذامي أبو عبد الله حيث يقول: ولي دانية لابن عمه أبي جميل زيان بن مدافع بن يوسف أمير بلنسية[٤].

بينما يذهب ابن خلدون الى الرأي بأن بني مردنيش هم عرب ، حيث نسبهم إلى قبيلة جذام بل وأكد على انتمائهم العربي بقوله : " ...فاجتمع من كان بقي بها من أهل العصبية القديمة من بيوت العرب تجافي بهم المنبت عن الحاضرة والأمصار بعض الشيء و رسخوا في العصبية مثل ابن هود و ابن مردنيش و أمثالهم"[٥]

ثانيا : مكانة بني مردنيش في الاندلس

لقد حظي بني مردنيش بمكانة مرموقة في الأندلس ، حيث أهلتهم هذه المكانة لأداء دور فاعل ومهم في شرق الأندلس خلال عهدي المرابطين والموحدين في الأندلس كما تميز بنو مردنيش بالشجاعة و الورع و التدين، حيث وصف الذهبي جد الأسرة أبو عبد الله محمد بن مردنيش بالزاهد المجاهد[٦] ومما يدل على ذلك أن القائد ابن عياض لما حضرته الوفاة رفض أن يتسلم الإمارة ولده بدلا عنه لأنه لم يكن يصلي ويشرب الخمر وسلمها إلى صهره محمد بن سعد

(١) مريم بعلسلوني, أسرة بني مردنيش ودورها السياسي في الاندلس (المسيلة, جامعة محمد بوضياف , ٢٠١٨م) ٩.
(٢) محمد بن عبد المنعم الحميري, الروض المعطار في خبر الاقطار, تحقيق: احسان عباس (بيروت, مكتبة لبنان , ١٩٧٥م) ٣٣٩.
(٣) بلعسلوني, أسرة بني مردنيش ودورها السياسي في الاندلس, ١٠.
(٤) شمس الدين بن محمد بن احمد بن عثمان الذهبي, نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء, تحقيق: محمد حسن الشريف (جدة, دار الاندلس الخضراء, ٢٠٠٨م) ١٤١٦.
(٥) عبدالرحمن بن محمد ابن خلدون, مقدمة ابن خلدون, تحقيق: سهيل زكار (بيروت, دار الفكر, ٢٠٠١م) ٢٠٧.
(٦) الذهبي , نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء, ١٢\ ١٤١٦.

بن مردنيش ، هذا وبعد دخول بني مردنيش في طاعة الموحدين و تصاهرهم مع الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف حيث تزوج هذا الأخير احدى بنات محمد بن سعد بن مردنيش وهي الأولى و تسمى زائدة حيث يصف ابن الخطيب ذلك قائلا: " ...وكان أعرس ببنت ابن سعد ليلة السبت الخامس لربيع الأول سنة سبعين و خمسمائة ،وولع بها وتغلب عليه حتى كان الناس يضربون به المثل بحب الخليفة بالزرقاء المردنيشية ، فأعطاهم ذلك مكانة مرموقة ، فقربهم إليه واختص بهم في تدبير شؤون مملكته وقد جعل على أساطيل العدوة غانم بن محمد بن مردنيش أخو محمد بن سعد بن مردنيش [١]

ثالثاً : قيام امارة بني مردنيش

أسس محمد ابن سعد إمارة مردنيش في شرق الأندلس نظرا لاضطراب الأوضاع هناك وقيام العديد من الثورات في وسط وغرب وجنوب الاندلس فكان لابد من التعجيل بضبط الوضع واستقرار البلاد بعد وفاة ابن عياض، حيث اصبح بعده ابن مردنيش أميرا على شرقي الأندلس[٢] وبهذا حدثت أقوى واخطر ثورة بزعامة محمد بن سعد بن مردنيش الذي بقي مسيطرا على البلاد حتى وفاته وسعى منذ تولية إمارته على مواجهة الموحدين من خلال قيامه بعدة غزوات وحروب معتمدا في ذلك على النصارى الذين استعان بهم في جهاده في حين ان عبد الرحمن بن عياض خلال فترة حكمه لبلاد شرق الأندلس عمل على حمايتها من غزوات النصارى واستمر في ذالك مدة عام وتسعة أشهر وعشرين[٣] كما تعتبر فترة حكمه من أهم الفترات التي عرفت استقرارا للبلاد فقد استطاع التصدي لأي تدخل خارجي وحارب النصارى . إذ يقول المراكشي : "... كان النصارى يعدونه وحده بمائة فارس [٤] وقام بحفظ البلاد من الاخطار الخارجية إلا أن توفي في اليوم الثاني والعشرون من شهر ربيع الأول سنة٥٤٢هـ_١١٤٨ م وبعد وفاته تولى حكم البلاد محمد ابن سعد بن مردنيش وهنا اختلفت الروايات حول مبايعته وتوليته السلطة من بعده فهناك من يقول أن أهل بلنسية بايعوا ابن مردنيش وبايع أهل مرسيه عليا بن عبيد ثم تخلى ابن عبيد عن مرسيه لابن مردنيش في جمادى الأول (٥٤٢هـ_١١٤٧م) وبذلك ضمن ابن مردنيش شرق الأندلس كله [٥]

(١) محمد بن عبدالله بن سعيد ابن الخطيب, اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام, تحقيق: محمد عبدالله عنان, ط٢ (القاهرة, مكتبة الخانجي, القاهرة, ١٩٧٤م) ٢٤١.

(٢) بوزيري مير بن امحمد زهرة , امارة ابن مردنيش ودورها السياسي والعسكري في الاندلس على عهد الموحدين (اسطنبول, جامعة ابن خلدون, ٢٠١٨ م) ٣٥.

(٣) هاشم ابو رميلة , علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الاندلس (جدة, دار الفرقان, ١٩٨٤م)٤٥.

(٤) محي الدين عبدالواحد بن علي المراكشي, المعجب في تلخيص اخبار المغرب, تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي(القاهرة, مطبعة الاستقامة, ١٩٤٩م) ١٦١.

(٥) ابو رميلة, علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الاندلس, ٨٤

ويقول المراكشي إن ابن عياض قبل وفاته اسند أمور البلاد إلى محمد بن سعد بن مردنيش الذي خيره على ابنه فيذكر "... وقام بأمر تلك الجهات رجل اسمه محمد بن سعد بن مردنيش وكان خادما لابن عياض يحمل له السلاح ويتصرف بين يديه في حوائجه فلما حضرته الوفاة اجتمع الجند واعيان البلاد فقالوا إلى من تسند أمورنا وبمن تشير علينا وكان له ولد فأشاروا عليه فقال له أنه لا يصلح لأني سمعت أنه يشرب الخمر ويغفل عن الصلاة فإذا كان ولا بد فقدموا عليكم هذا وإشارة إلى محمد بن مردنيش فانه ظاهر النجدة كثير الغناء ولعل الله أن ينفع به المسلمين[١]

خامساً : ادارة بني مردنيش للامارة

خصص ابن مردنيش في بداية أمره وقتا للشؤون الداخلية ، فنظم المؤسسات المالية والعسكرية لإمارته الناشئة ، مانعا أي ثورة داخلية محتملة ، وعندما كان يغد السير مسرعا إلى مدينة بلنسية ليتسلم مقاليد الحكم فيها طرق على مسامعه أن النصارى اخترقوا أراضيه وهاجموا حصن حلال ، وسقط في أيديهم فهب لاسترداد الحصن ، واسترجعه بالسرعة التي سقط بها ثم أخذ في تشييد قبضته على المناطق المجاورة حيث بعث صهره ابن همشك للاستيلاء على الأراضي الواقعة تحت سيطرة ابن سوار ، فنجح في مهمته ليكون حقيقا به أن يصبح حاكما على مرسية ، وفي الوقت نفسه عين ابن مردنيش أخاه أبا الحجاج يوسف واليا على بلنسية[٢] حيث مال ابن مردنيش إلى القيادة وعمره احدى وعشرون عام ثم ارتقي الى الملك الراسخ والسلطان الشامخ يباهر شجاعته وشهامته، فسما قدره وعظم أمره وفشى في كل أمة ذكره وبدأ ابن مردنيش فور تثبيت أسس دولته الجديدة في مرسية وجميع شرق الأندلس وبعدها بدء بتحالفات مع الممالك النصرانية وهذا يدل على تراجع القيم عند ابن مردنيش والحياة المبتذلة التي عاشها وإبرامه الاتفاقيات والمعاهدات مع النصارى، وعدم التفاته إلى بلاده يحميها من التفكك والاضمحلال جعلته يفقد الكثير من حلفائه الاسبان السابقين الذين كان يعتمد عليهم في المقام ولما أخذ سلطان الموحدين يتسع في البلاد الأندلسية وأن أغلب إماراته وولايته دخلت في حوزتهم وأن معظم أمراء الأندلس سلموا ما بأيديهم للموحدين سواء عن طواعية أو كره منهم رأى ابن مردنيش أن الحلقة أخذت تضيق عليه وأن مآل إمارته التي جهد في إقامتها هو الوقوع في يد الموحدين خاصة وأنه فقد كثيرا من حلفائه [٣]

ولذلك أخذ الحقد يملا نفسه وولاته وكبار رجالات دولته الذين يعتمد عليهم وبالأخص عندما اكتشف أنّ بعض المدن مثل بلنسية ولورقة الخاضعة له تراسل الموحدين في الخفاء

(١) المراكشي, المعجب في تلخيص اخبار المغرب, ٢٠٩ - ٢١٠
(٢) داود عمر سلامة عبيدات , الموحدون في الاندلس والمغرب (عمان, دار الكتاب الثقافي, ٢٠٠٦م) ٦٩ - ٧٠ .
(٣) ابن الخطيب, الاحاطة في اخبار غرناطة, تحقيق: محمد عبدالله عنان (القاهرة, مكتبة الخانجي, ١٩٧٧م) ١٢٢ .

ونتيجة لهذا الأحقاد والشكوك والتبلبل الفكري أخذ يتصرف تصرفات طائشة لا تكاد تصدر من رجل عاقل ، ويذكر أنه قتل وزيريه ابني الجذع بالجوع ، إذ بنى لهما بناء ورماهما فيه ومنع عنهما الأكل حتى ماتا ، كما أنه قتل أخته و طفلها إغراقا في البحر وارتكب الكثير جدا من أمثال هذه الأعمال لذلك امتلأت النفوس منه وخافه أقرب الناس وكان أول الخارجين عليه بعض أمراء دولته الذين تأكدوا من شكه في اخلاصهم تجاهه ولذلك بادروا بتقديم طاعتهم وما تحت أيديهم من بلاد للموحدين ، وهذا ما فعله ابراهيم بن همشك ومحمد بن هلال بن مردنيش من الخروج على محمد بن سعد و طاعة الموحدين في نفس الوقت[١]

هكذا توالت النكبات على إمارة ابن مردنيش ، ولم يخلصه من مأساته إلا موته المفاجئ في العاشر من شهر رجب سنة ٥٦٧هـ وهو لا يتجاوز من العمر الثامنة و لأربعين[٢] وبموته قدم آل محمد بن سعد طاعتهم للموحدين ، وبذلك آل حكم شرق الأندلس كله للموحدين وبذلك شملت سيادتهم كل الأندلس الاسلامية وبالتالي القضاء على إمارة ابن مردنيش[٣]

المبحث الثاني

الدور السياسي والعسكري لأمارة بني مردنيش

اولاً : علاقة بني مردنيش مع الممالك المجاورة لهم

عزم ابن مردنيش في بداية الأمر على الاستقلال بإمارته، إلا أنه كان شديد الحرص على اقامة علاقات خارجية متينة مع الإمارات والممالك المجاورة لإمارته الإسلامية منها علاقته بـ ابن همشك[٤] الذي كان يعتبره ابن مردنيش ندا له في المنطقة، وقد حاول ابن مردنيش استمالته وضمه إلى جانبه، حيث عقد معه صلة مصاهرة[٥] وقربه منه وجعله قائدا لجيوشه، حتى وصف أنه سيف ابن مردنيش يسلطه على كل من عصاه ويقود له الجيوش ويفتتح البلاد باسمه [٦]مما جعل ابن مردنيش يوليه مدينة مرسية. وقد اتحد ابن مردنيش مع ابن همشك في عدة أمور منها أنهما اتحدا على محاربة الموحدين، كما اتحدا على بناء علاقات تعاون مع النصارى، وبالتالي فإن علاقات ابن مردنيش مع الممالك والإمارات النصرانية تعددت إلى خارج الجزيرة. فقد عقد ابن مردنيش سنة (٥٤٣هـ/١١٤٨م) معاهدة صلح مع بعض الجمهوريات الإيطالية مدتها عشر سنوات تعهد بموجبها على أن يدفع إتاوة قدرها عشرة آلاف دينار مرابطيه كل عامين، وأن يبني للرعايا الإيطاليين في بلنسية فندقا يزاولون فيه تجارتهم في حين تعهدت الجمهوريات الإيطالية

(١) بلعسلوني , أسرة بني مردنيش ودورها السياسي في الاندلس , ٣٢.
(٢) عبدالملك بن محمد الباجي ابن صاحب الصلاة , تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين, تحقيق: عبدالهادي التازي (بيروت, دار الغرب الاسلامي, ١٩٨٧م) ٣٧٩.
(٣) مراجع عقيلة الغناي , سقوط دولة الموحدين (بنغازي , منشورات جامعة بنغازي , ١٩٧٥م) ٩٠ – ٩١ .
(٤) ابن الخطيب , اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام , ٢٦٣.
(٥) ابن خلدون , مقدمة ابن خلدون , ٢٣٩
(٦) ابن الخطيب , الاحاطة في اخبار غرناطة , ١٦٠.

من جهتها بأن لا تلحق أضرارًا برعايا ابن مردنيش [١] كما كان ابن مردنيش يراسل كثيرا من ملوك النصارى ويبعث إليهم بالهدايا القيمة تتمثل في الذهب والحرير والخيل والجمال. هذا وقد عقد ابن مردنيش معاهدتين مع مملكتي قشتالة وأراغون[٢] بعد أن أدرك ما اتفقا عليه ملكا هاتين المملكتين بموجب معاهدة سميت بمعاهدة تطيلة [٣] سنة (٥٤٥هـ/١١٥١م) وقد نصت هذه المعاهدة على تقسيم بلاد الأندلس بين الملكين حيث تمثل نصيب الملك أراغون في شرقي الأندلس مع توليه حكم كل من مرسية وبلنسية بشكل تابع لملك قشتالة [٤] فكان رأي ابن مردنيش مردنيش أن يعاهد النصارى ويهادنهم أفضل له من أن يواجههم ، ويدخل معهم في صراع هو في غنى عنه خاصة وأنه يميل للحياة والثقافة القشتالية وبالتالي فقد عقد معاهدتين الأولى كانت مع ألفونسو السابع ملك قشتالة مدتها أربع سنوات تعهد فيها ابن مردنيش بما يلي:

- أن يكون حاكما على مرسية وبلنسية وما تبعهما باسم ملك قشتالة.
- أن يدفع جزية أو إتاوة سنوية مقدارها ٥٠ ألف مثقال ذهب.

وأما الاتفاقية الثانية، فقد وقعها ابن مردنيش مع ملك أراغون مدتها هي الأخرى أربع سنوات ونصت هذه الاتفاقية على:

- أن يدفع ابن مردنيش جزية أو إتاوة سنوية إلى ملك أراغون مقدارها ٥٠ ألف مثقال ذهب[٥]

وإضافة إلى هذا فإن ابن مردنيش كان يجلب الكثير من المرتزقة النصارى من المملكتين (قشتالة وأراغون) وغيرهم، فيبني لهم الأحياء والحانات وينفق عليهم الأموال والهدايا ويشركهم في حروبه ويستعين بهم على أعدائه[٦](وقد عادت هذه العلاقات على ابن مردنيش بانعكاسات سلبية، تمثلت في إثقال كاهل رعيته بالضرائب ليستطيع تسديد الإتاوات، فقد فرض الضرائب على التجارة وعلى البقر والغنم؛ بل وصل به الأمر إلى فرض رسوم على الأعراس والمآتم، مما أدى إلى تكدس السلع في الدكاكين نظرا لغلاء سعرها، وانتشر الفقر بين رعاياه[٧] كما ترتب بموجب هذه المعاهدات التي عقدها ابن مردنيش مع النصارى عجز في الدفاع عن المعاقل الإسلامية ونجدتها من النصارى [٨]

(١) ابو رميلة , علاقات الموحدين بالممالك النصرانية , ١٠٩.
(٢) محمد عبدالله عنان , دولة الاسلام في الاندلس , ط٣ (القاهرة , مكتبة الخانجي , ١٩٩٢م) ٣٦٦ - ٣٦٧.
(٣) مغنية غرداين , شرقي الاندلس بعد المرابطين (دورية كان التاريخية , العدد ٢٠ , ٢٠١٣م) ١٣٣.
(٤) ابو رميلة , علاقات الموحدين بالممالك النصرانية ,١٠٩.
(٥) ابو رميلة , علاقات الموحدين بالممالك النصرانية ,.١١١
(٦) ابن الخطيب , الاحاطة في اخبار غرناطة , ٨٧ .
(٧) ابن الخطيب , الاحاطة في اخبار غرناطة, ٨٨ .
(٨) يوسف اشباخ , تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين , تحقيق : عبدالله عنان , ط٢ (القاهرة , مكتبة الخانجي , ١٩٩٦م) ٢٣٤.

وجدير بالذكر ان المريه كانت تابعة لابن مردنيش قبل أن يغزوها النصارى وأقام عليها أحد أقاربه اسمه محمد بن سعد[١] ويصف أحد المؤرخين المعاصرين هذه الحملة فيقول: "ملأ النصارى السهل بجيوشهم الضخمة وخربوا الحقول واستاقوا الماشية وساروا نحو ألمرية... ويتألف جيشهم من صفوف لا تحصى من الفرسان والمشاة فامتلأت بهم الجبال والسهول... ورأى المسلمون أن لا أمل لهم في النجدة فخرجوا مرارا لمقاتلة النصارى وفقدوا خيرة فرسانهم... ثم بدؤوا المفاوضة وسلموا المدينة للأذفنش بعد حصار دام ثلاثة أشهر... وكان ذلك في أواخر سنة (٥٤٢هـ/١١٤٧م)[٢] وانطلاقا من هذا الوصف لهذه الحملة يفهم أن النصارى قد سبوا وغنموا ونهبوا وقتلوا وأسروا وابن مردنيش لم يحرك ساكنًا نظرا لالتزامه بما عقده من معاهدات واتفاقيات

وأما عن علاقاته بالإمارات الإسلامية خارج الأندلس فنجد معظم المصادر والمراجع التاريخية تولي أهمية كبرى في هذا الصدد فعلاقته بالدولة الموحدية كانت دائما علاقة متوترة ومتأزمة، فقد كان ابن مردنيش حركة من الحركات المناوئة للحكم الموحدي في بلاد الأندلس، وقد كان ابن مردنيش معارضا للحكم الموحدي، لأنه كان يسعى لتوسيع نفوذه في كافة أقطار بلاد الأندلس، وكان تواجد الموحدين في الأندلس يحول بينه وبين تحقيق هدفه، وفي نفس الوقت كان الموحدون يهدفون إلى إخضاع ابن مردنيش والسيطرة على كافة أرجاء البلاد الأندلسية، فأهداف الطرفين هذه أدت بهما إلى الدخول في صراع طويل الأمد

ثانيا : صراع ابن مردنيش مع اعوانه ونهاية المملكة المردنيشية

اضطربت شؤون محمد بن سعد بن مردنيش لا سيما بعد وقعة الجلاب كما ساءت علاقته بكبار رجال دولته و أعوانه، حيث اضهدهم وغدرهم كما ساءت علاقته حتى مع أقرب الناس اليه و عدد من وزرائه ، حيث خرج عليه يوسف بن هلال ويقول ابن الخطيب : كان شجاعا وحازما أحضاه الأمير محمد وصاهره ، وجعل لنضره حصن مطريشة وأخذ حصن الصخيرة و مواضع كثيرة ، ثم فسد ما بينهما فثار عليه ابن هلال وتملك مورتلة وتحالف مع أمير برشلونة على أن يكون تحت حمايته وتصيير ما يملكه اليه وأعانه بخيل من النصارى فأخذ يغير على أحواز بلنسية وينزع بعض حصونها وأوقع الهزيمة بابن مردنيش[٣] لكن ابن مردنيش عاود قتال صهره، صهره، وساعده الجد في جريدة خيل وجهها ببعض الأطراف للضرب على مورتلة ، وطالبه بإخلائها وإلا أخرجت عينه اليمني بعود من الأرض كما طلبت منه إخلاء الحصن أو تخرج عينه الأخرى، لكنه حمل على التكذيب فأخرجت في الحين عينه الأخرى و سيق الى شاطبة ،

(١) عبدالعزيز سالم , تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس (الاسكندرية , مؤسسة شباب الجامعة , ١٩٨٤م) ٩٤.
(٢) يوسف اشباخ , تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين , ٢٣٥.
(٣) الحميري , الروض المعطار في خبر الاقطار , ٣٥٥.

وبقي فيها إلا أن توفي سنة ٦٤٣ هـ [١] كما قتل ابن مردنيش كذلك بعض كبار أعوانه و عذب بعضهم الآخر، حيث قتل ابني الجذع ووزيريه وأيضا قتله لابن صاحب الصلاة الغرناطي بالجوع , آثار ذلك غضب ابن مردنيش وطلق زوجته التي هي ابنة همشك طلاقا بتلا ، وبانت من عصمته بيانا وقام بطردها الى بيت أبيها مهانة ومستهانة ، فلما طلقت و سارت الى أبيها فسألت عن ولدها وامكان صبرها عليه فقالت : جرو كلب ، جرو سوء ، من كلب سوء لا حاجة لي به[٢] كما ساءت علاقة ابن مردنيش بصهره ابن همشك واصبحت تلفها الشحناء والعداوة والبغضاء سرا وعلانية فانقطع ابن همشك عن زيارة صهره ومواصلته ، وذلك مخافة على نفسه لما رآه من تصرفات ابن مردنيش [٣] حيث يقول ابن صاحب الصلاة " وقد كانت الشحناء والعداوة و البغضاء ببركة هذا الأمر العزيز قد نشأت بينه وبين صهره محمد بن سعد بن مردنيش سرا واعلانا وخافه ابراهيم على نفسه ، فانقطع عن مواصلته ، و زيارته آزمانا ...." [٤] ثم تقاتل ابن مردنيش وابن همشك مدة لكن ابن همشك لم يستطع الصمود في وجه ابن مردنيش ورد غزاوته المتواصلة فأعلن الطاعة والولاء للموحدين ، وعلى إثر هذا الحدث اتصلت بلاد ابن همشك ببلاد الموحدين فانتهز الخليفة أبو يعقوب يوسف توحيد ابن همشك وأرسل رسالة الى ابن مردنيش يدعوه فيها إلى أن يحذو حذو ابن همشك هذا وتم إرسال العديد من الرسائل الى كافة ولاة الأندلس من أجل أخبارهم بتوحيد ابن همشك وباته أذاع للمهدية وأعلن الولاء لها ، وذلك بتاريخ شهر رمضان(٥٦٤ هـ)[٥] وأما ابن مردنيش فلم يستسلم بل واصل غزو بلاد ابن همشك طوال سنة كاملة لكن ابن همشك أحسن رد هجمات ابن مردنيش مع استنجاده بالموحدين ، حيث يذكر ابن صاحب الصلاة فيقول : "... فاستغاث ابن همشك بالموحدين وكثر صراخه الى أمير المؤمنين وشكا حاله و رجاله ..."[٦] كما أعطى ابن مردنيش بعض البلاد للنصارى كحصني بلج والكرس من أجل غزو بلاد ابن همشك والتضييق عليه [٧] لما ثبت للموحدين صدق نية ابن همشك فكتب أبو حفص من قرطبة الى حضرة الخلافة معينا لابن همشك بكتابه ومصدقا له في ما استغاث به من عدوه [٨]

غير أن مجاورة منطقة ابن همشك لمنطقة ابن مردنيش جعلتها أكثر عرضة لضرباته [٩] فسار السيد أبو حفص بمعسكره من مراكش أول شهر ذي القعدة سنة (٥٦٦هـ) ومعه أخوه السيد

(١) ابن الخطيب , اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام , ٢٣٦,
(٢) ابن صاحب الصلاة , تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين, ٣١٢.
(٣) ابو رميلة , علاقات الموحدين بالممالك النصرانية , ١٢٦ – ١٢٩ .
(٤) ابن صاحب الصلاة , تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين, ٢٤٣ .
(٥) ابن صاحب الصلاة , تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين, ٣١٢.
(٦) ابو رميلة , علاقات الموحدين بالممالك النصرانية , ١٣٠ .
(٧) داود سلامة عبيدات , الموحدون في المغرب والاندلس . ١٣٠.
(٨) المرجع نفسة , ١٨٢.
(٩) مريم بلعسلوني , أسرة بني مردنيش , ٥١ .

أبو سعيد عثمان وعدد من الأشياخ و الحفاظ الموحدين والزعماء الأندلسيين فوصل اشبيلية أوائل سنة(٥٥٦هـ) كما حضر اليه من قرطبة الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى ومن معه ابراهيم ابن همشك ، ثم عقد السيد أبو حفص مؤتمر للتشاور في خطط القتال وغزو البلاد ، فاستقر الرأي على غزو ابن مردنيش في داره سار السيد أبو حفص بعد أيام بجنده لغزو بلاد ابن مردنيش فنازل بمدينة قيجاطة حتى استولى عليها فقبض على حاكمها الشرقي و أعدم بإشارة ابن همشك، ثم اخترق الموحدون بعد ذلك بسائط الشرق في طريقهم إلى مرسية وتغلبوا على حصن الفرج ، حيث كان هذا الأخير متنزه ابن مردنيش ومنزل لهوه وانسه وابن همشك يقود الموحدين و يدلّلهم على خير الطرق و المسالك حتى وصل الجيش إلى مرسية [١] وضرب الحصار على ابن مردنيش، وفي هذه الأثناء قام أهل مدينة لورقة بالثورة على النصارى أعوان ابن مردنيش فحاصروهم بالقصبة برفقة قائدهم أبي عثمان بن أحد أخلص رجال ابن مردنيش ثم بعث أهل المدينة إلى أبو حفص بن عبد المؤمن يستنجدون به ويعلنون طاعتهم وولائهم للموحدين ، فاستجاب لهم أبو حفص فأقلع عن مرسية ودخل لورقة و شدد الحصار على القصبة و أطال الموحدون الحصار على النصاري بالقصبة حتى نفذ لهم الماء والطعام وتم التفاوض مع أبي عثمان وقد تشفع له ابن همشك في النزول عن القصبة و له و لمن معه الأمان فنزل من القصبة رفقة أصحابه ومن كان معه من النصارى الذين توجهوا إلى بلادهم طالبين النجاة [٢] واستولوا الموحدين على الجزء الأكبر من أراضي ابن مردنيش ، وحاصروا مرسية المرحلة الأخيرة في مشوارهم [٣]

انتهز ابن مردنيش مسير أبي حفص بعسكره من مرسية إلى اشبيلية فسار بقواته لاسترداد جزيرة شقر من القائد أبي أيوب بن هلال الشرقي الذي أعلن الولاء والطاعة للموحدين لكنه عجز عن استرداد جزيرة شقر، فاستدعى أخاه يوسف لمساعدته فلم يستجب له أخوه يوسف لأنه ابتدأ بالميل للموحدين مما زاد في مرض وألم ابن مردنيش حيث يقول ابن صاحب الصلاة : " ...ثم إن أبا الحجاج يوسف أخاه المذكور أظهر الانابة والمبادرة الى التوحيد ، وتحقق محمد بذلك فزادت علته بالذهول ، وتوقف أخوه عن عيادته ومخاطبته ، فاشتدت علته ، وحضرت منيته فتوفي في العاشر من رجب الفرد من سنة سبع وستين وخمس مائة المؤرخة وله ثمانية وأربعون سنة ويقول

(١) مريم بلعسلوني , أسرة بني مردنيش , ٥١ – ٥٢ .
(٢) محمد عبدالله عنان , دولة الاسلام في الاندلس , ٤٩ – ٥٠ .
(٣) داود سلامة عبيدات , الموحدون في الاندلس والمغرب , ٨٤.

الناصري : " لما نزل أمير المؤمنين يوسف بإشبيلية خافه محمد بن مردنيش ، وحمل على قلبه ومات " [١]

ثالثاً : اعلان الولاء وتبعية بني مردنيش للموحدين

اختلفت الروايات في تصوير ما حدث عقب وفاة محمد ابن سعد بن مردنيش وحول عائلته فالرواية الأولى : أنه إثرى وفاة محمد بن مردنيش بادر قواده وأشياخه بالتوحيد والدخول في طاعة الموحدين ، وأقنعوا ولده هلال ابن مردنيش فقبل وانصاع لرأيهم وبادر بإعلان طاعته وتوحيده ، وخاطب بذلك أمير المؤمنين وسار الى اشبيلية ليؤكد ذلك [٢] وفي رواية أخرى : أنه لما مات محمد بن سعد بن مردنيش سترت وفاته الى أن جاء أخوه الحجاج يوسف بن سعد من بلنسية، واجتمع مع أكابر ولده محمد بن سعد على الدخول في طاعة الموحدين ، و أن يلقوا أيديهم في يد أمير المؤمنين وأن يسلموا اليه البلاد .

أما المراكشي فيقول : "أن أبا عبد الله محمد بن سعد حين حضرته الوفاة جمع بنيه وكان له من الولد على علمي ثمانية ذكور وهم هلال يكنى أبا القمر وهو أكبر ولده واليه أوصى و غانم و الزبير و عزيز و نصير وبدر و أرقم و عسكر وأصاغر لا علم لي بأسمائهم ، وبنات تزوج احداهن أمير المؤمنين أبو يعقوب ابن يوسف فكان فيما أوصاهم به أنه قال يا بني إني أرى أمر هؤلاء القوم قد انتشر و أتباعهم قد كثروا و دخلت البلاد في طاعتهم و إني أظن أنه لا طاقة لكم بمقاومتهم فسلموا اليهم الأمر اختيارا منكم تحظوا بذلك عندهم قبل أن ينزل بكم ما نزل بغيركم و قد سمعتم ما فعلوا بالبلاد التي دخلوها عنوة [٣]

ويضيف ابن الخطيب في رواية أخرى ملخصها: " أن الأمير محمد بن سعد لما يئس من نفسه ، وأيقن بتصيير ملكه الى الموحدين أشهد على نفسه بايصاء يوسف بن عبد المؤمن عدوه على ولده و اهله ، و رغب منه في قبول الوصية ، و جلب اليه ولده بعد موته " [٤]

ويذكر ابن خلدون : أنّ ابن مردنيش لما طال عليه الحصار وارتاب ففتك بهم ، وباد أخوه أبو الحجاج و هلك هو في رجب من هذه السنة ، ودخل ابن هلال في الطاعة..... [٥]

ويذكر ابن صاحب الصلاة أن القاضي أبو موسى عيسى بن عمران قال : أمير المؤمنين طلع علينا في هذه الليلة هلالان ، هلال شهر رمضان و هلال هذا بالطاعة فاستحسن أمير المؤمنين كلامه هذا وتبسم ، وأنزل هلال و أصحابه بقصر محمد بن عباد بأمير اشبيلية الرفيع

(١) مريم بلعسلوني , أسرة بني مردنيش , ٣٥
(٢) ابن صاحب الصلاة , تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين, ٣٧٩ .
(٣) المراكشي , المعجب في تلخيص اخبار المغرب, ١٨٠ .
(٤) ابن الخطيب , اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام, ٢٤٠ .
(٥) ابن خلدون , العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم ومن عاصرهم من وي السلطان الاكبر (عمان, بيت الافكار الدولية, ١٩٩٥م) , ٦ \ ٣٢٢.

الشأن العظيم البنيان ، وقد غمرهم الخليفة بوافر عطفه و اكرامه ، و أفهموا أنهم الأقارب و الأصحاب و رحبت بهم المملكة الخلافية والدولة الإمامية ..." [١]

ويذكر ابن الآبار أن كاتب هلال بن محمد بن مردنيش المدعو ابن ذمام قد قال فيه : ملكت الفضل يا نجل ابن سعد فما لك في الأكارم من نظير حسامك حاسم عدو الأعادي ومالك مذهب عدم الفقير ووجهك ان تبدى في ظلام تجلى عن سنا قمر منير لذا سماك من سمى هلالا لإشراق حبيت به ونور [٢]

الخاتمة

أولا / بعد انتهاء هذا البحث خرجنا بالعديد من النتائج كان ابرزها ان ابن مردنيش استطاع الانفراد بحكم شرقي الاندلس وتأسيس امارة خاصة به هناك

ثانيا / تبين لنا ان ابن مردنيش اقامه علاقات خارجية سواء كانت ودية او عدائية وذلك من اجل المحافظة على امارته والاعتراف بها

ثالثا / امتناع ابن مردنيش الدخول في طاعة الموحدين والسبب في ذلك هو لإقامته علاقة قوية مع الممالك النصرانية

رابعا / كان لاتباع ابن مردنيش سياسه عدائية مع من حوله ادى في نهاية المطاف الى انهيار حكمة ودخول امارته في طاعة الموحدين بعد موتة

ثبت المصادر والمراجع

اولاً: المصادر الاولية

❖ ابن الابار, محمد بن عبدالله (ت: ٦٥٨هـ/ ١٢٦٠م)

١- المقتضب من كتاب تحفة القادم , تحقيق : ابراهيم الايباري , ط٢ , القاهرة , دار الكتب المصرية , ١٩٨٩م .

❖ الحميري , محمد بن عبد المنعم(ت: ٩٠٠هـ/ ١٤٩٥م)

٢- الروض المعطار في خبر الاقطار, تحقيق: احسان عباس , بيروت, مكتبة لبنان , ١٩٧٥م.

❖ ابن الخطيب , محمد بن عبدالله بن سعيد(ت: ٧٧٦هـ/ ١٣٧٤م)

٣- اعمال الاعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام, تحقيق: محمد عبدالله عنان, ط٢ , القاهرة, مكتبة الخانجي, القاهرة, ١٩٧٤م .

٤- الاحاطة في اخبار غرناطة, تحقيق: محمد عبدالله عنان , القاهرة, مكتبة الخانجي, ١٩٧٧م .

❖ ابن خلدون عبدالرحمن بن محمد(ت: ٨٠٨ هـ/ ١٤٠٦م)

٥- مقدمة ابن خلدون, تحقيق: سهيل زكار , بيروت, دار الفكر, ٢٠٠١م .

(١) ابن صاحب الصلاة , تاريخ المن بالإمامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين,٣٨١ .
(٢) محمد بن عبدالله ابن الابار , المقتضب من كتاب تحفة القادم , تحقيق : ابراهيم الايباري , ط٢ (القاهرة , دار الكتب المصرية , ١٩٨٩م) ١٢٩ .

❖ الذهبي, شمس الدين بن محمد بن احمد بن عثمان (ت: ٧٤٨هـ/ ١٢٧٤م)
٦- نزهة الفضلاء تهذيب سير أعلام النبلاء, تحقيق: محمد حسن الشريف , جدة, دار الاندلس الخضراء, ٢٠٠٨م.
❖ ابن صاحب الصلاة, عبدالملك بن محمد الباجي (ت: ٥٩٤هـ/ ١١٩٧م)
٧- تاريخ المن بالامامة على المستضعفين بأن جعلهم الله أئمة وجعلهم الوارثين, تحقيق: عبدالهادي التازي , بيروت, دار الغرب الاسلامي, ١٩٨٧م .
❖ المراكشي, محي الدين عبدالواحد بن علي(ت: ٦٤٧هـ/ م١٢٥٠)
٨- المعجب في تلخيص اخبار المغرب, تحقيق: محمد سعيد العريان ومحمد العربي, القاهرة, مطبعة الاستقامة, ١٩٤٩م.

ثانيا: المراجع الثانوية

❖ اشباخ, يوسف
١- تاريخ الاندلس في عهد المرابطين والموحدين , تحقيق : عبدالله عنان , ط٢ , القاهرة , مكتبة الخانجي , ١٩٩٦م .
❖ بعلسلوني, مريم
٢- أسرة بني مردنيش ودورها السياسي في الاندلس ,المسيلة, جامعة محمد بوضياف , ٢٠١٨م .
❖ ابو رميلة , هاشم
٣- علاقات الموحدين بالممالك النصرانية والدول الاسلامية في الاندلس , جدة, دار الفرقان, ١٩٨٤م .
❖ زهرة, بوزيري مير بن احمد
٤- امارة ابن مردنيش ودورها السياسي والعسكري في الاندلس على عهد الموحدين اسطنبول, جامعة ابن خلدون, ٢٠١٨ م .
❖ سالم , عبدالعزيز
٥- تاريخ مدينة المرية الاسلامية قاعدة اسطول الاندلس , الاسكندرية , مؤسسة شباب الجامعة , ١٩٨٤م.
❖ عبيدات, داود عمر سلامة
٦- الموحدون في الاندلس والمغرب , عمان, دار الكتاب الثقافي, ٢٠٠٦م .
❖ عنان, محمد عبدالله
٧- دولة الاسلام في الاندلس , ط٣ , القاهرة , مكتبة الخانجي , ١٩٩٢م.
❖ الغاني, مراجع عقيلة
٨- سقوط دولة الموحدين , بنغازي , منشورات جامعة بنغازي , ١٩٧٥م .

❖ غرداين, مغنية

٩- شرقي الاندلس بعد المرابطين , دورية كان التاريخية , العدد ٢٠ , ٢٠١٣م.

List of sources and references

First: Primary sources

• Ibn al-Abbar, Muhammad ibn Abdullah (d. 658 AH / 1260 AD(

1- Al-Mukhtasar from the book Tuhfat al-Qadim, edited by: Ibrahim al-Ibari, 2nd ed., Cairo, Dar al-Kutub al-Masryia, 1989 AD.

• Al-Himyari, Muhammad ibn Abd al-Mun'im (d. 900 AH / 1495 AD(

2- Al-Rawd al-Mu'tar fi Khabar al-Aqtar, edited by: Ihsan Abbas, Beirut, Lebanon Library, 1975 AD.

• Ibn al-Khatib, Muhammad ibn Abdullah ibn Saeed (d. 776 AH / 1374 AD(

3- A'mal al-I'lam fi Man Bay'ah before puberty from the kings of Islam, edited by: Muhammad Abdullah Annan, 2nd ed., Cairo, al-Khanji Library, Cairo, 1974 AD.

4- Al-Ihata fi Akhbar Granada, edited by: Muhammad Abdullah Annan, Cairo, Al-Khanji Library, 1977 AD.

• Ibn Khaldun Abd al-Rahman bin Muhammad (d. 808 AH / 1406 AD(

5- Introduction of Ibn Khaldun, edited by: Suhail Zakar, Beirut, Dar Al-Fikr, 2001 AD.

• Al-Dhahabi, Shams Al-Din bin Muhammad bin Ahmad bin Othman (d. 748 AH / 1274 AD(

6- Nuzhat Al-Fadhla Tahdhib Siyar A'lam Al-Nubala, edited by: Muhammad Hassan Al-Sharif, Jeddah, Dar Al-Andalus Al-Khadra, 2008 AD.

• Ibn Saheb Al-Salat, Abdul-Malik bin Muhammad Al-Baji (d. 594 AH / 1197 AD(

7- History of the favor of the Imamate on the oppressed by making them Imams and making them the inheritors, edited by: Abdul-Hadi Al-Tazi, Beirut, Dar Al-Gharb Al-Islami, 1987 AD.

- Al-Marrakushi, Muhyi Al-Din Abdul-Wahid bin Ali (d. 647 AH / 1250 AD(

8- Al-Mujab in the Summary of the News of Morocco, edited by: Muhammad Saeed Al-Aryan and Muhammad Al-Arabi, Cairo, Al-Istiqama Press, 1949 AD.

Second: Secondary References

- Ashbach, Youssef

1- History of Andalusia in the Era of the Almoravids and Almohads, edited by: Abdullah Annan, 2nd ed., Cairo, Al-Khanji Library, 1996 AD.

- Baalslouni, Maryam

2- The Banu Mardanish family and its political role in Andalusia, M'Sila, University of Mohamed Boudiaf, 2018.

- Abu Ramila, Hashem

3- The relations of the Almohads with the Christian kingdoms and Islamic states in Andalusia, Jeddah, Dar Al-Furqan, 1984.

- Zahra, Bouziri Mir bin Muhammad

4- The Emirate of Ibn Mardanish and its political and military role in Andalusia during the era of the Almohads, Istanbul, Ibn Khaldun University, 2018.

- Salem, Abdulaziz

5- The history of the Islamic city of Almeria, the base of the Andalusian fleet, Alexandria, University Youth Foundation, 1984.

- Obeidat, Dawood Omar Salama

6- The Almohads in Andalusia and Morocco, Amman, Dar Al-Kitab Al-Thaqafi, 2006.

- Annan, Muhammad Abdullah

7- The Islamic State in Andalusia, 3rd ed., Cairo, Al-Khanji Library, 1992.

- Al-Ghani, Aqila References

8- The Fall of the Almohad State, Benghazi, Benghazi University Publications, 1975.

- Ghardain, Mughniyya

9- Eastern Andalusia after the Almoravids, Kan Historical Journal, Issue 20, 2013.